ألتقيكم في الصباح

احدى عظات نورمان فنسنت بيل

ترجمة الأخ واصف عبد الملك

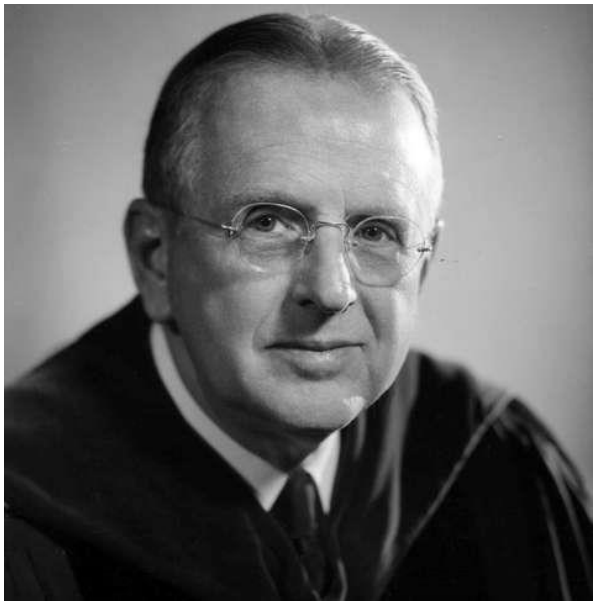

Norman Vincent Peale (May 31, 1898 – December 24, 1993)

كانت رسالة تليفونية عبر القارة ، على الجانب صوت سيدة تقدمت بها السنون ، وعلى الجانب الآخر ، ابنها الذي ناهز الأربعين . وكانت الأم تحدث ولدها كما لو كان طفلا يحب الألوان الجميلة من الطعام الشهي . مما تعودت أن تصنعه في المنزل القروي في الولايات الغربية حيث تحف به الأشجار العاتية في حي مبني على الطراز القديم ، وكان الابن يشغل وظيفة كبيرة في احدى ناطحات السحاب في حي « مانهاتن » الذي يضج بالحركة والزحام : كانت الأم مثال الحب والابن مثال الوفاء ، علم أنها مريضة فقال : " سأستقل الطائرة الليلة يا أمي حيث سيكون لى أمتع وقت أقضيه معك ، فجهزى الأطعمة التي أحبها حيث التقى بك غدا "٠ فقالت : " ستجد كل شيء تحب أكله يا ولدي " أن أجمل شيء لدي هو أن يعود ولدي الى البيت « وفي نبرات مرتعشة قالت الأم العجوز : " ألتقيك في الصباح " وصل بالطائرة في الصباح الباكر وما أن وقف أمام البيت حتى علم أن والدته العزيزة قد ذهبت في سلام وهدوء الى الشاطيء الآخر ، فدخل ليلقى عليها النظرة الأخيرة ، ورأى على وجهها الوديع علائم الطمأنينة المقدسة فتذكر آخر كلمة فاهت بها قبل رحيلها : " ألتقيك في الصباح ".

هذا الرجل من أعز أصدقائي القدامى ، وهو من الرجال البارزين الناجحين ، سألته : ما رأيك في عبارة « ألتقيكم في الصباح » نظر إلى نظرة استغراب وقال : " عجيبا ! سألتقيها في الصباح ".

فسألته : (كيف تتأكد من ذلك ؟ فقال : « الا تذكر كيف كنا نذهب سويا مع أصدقاء الصبا الى كنيسة القرية منذ زمن بعيد ؟ شكرا لله فان هذه الذكريات الخالدات لا تبرح ذهني ، اني أشكر نعمته اذ أتاح لي أن أتربي وأنشأ في تلك الكنائس القروية الصغيرة في مطلع هذا القرن . كنا نطل من نوافذ بيوتنا فلا نرى البنايات العالية

التي تحجب النظر بل كنا نرى الأفق ممتدا أمامنا مسافات بعيدة ، ترى الحقول والتلال والغابات والسماء ، وكان الوعاظ آنئذاك غير متعلمين التعليم العالي ، ولكن قلوبهم ووجوههم كانت تشع بالايمان القوي. وكانت تعلوهم مسحة روحية عميقة تنفذ إلى الأعماق لأنهم كانوا يتكلمون عن اختبار في معرفة الله المعرفة الحقيقية بعمل المسيح في تجديد الحياة . استطرد صديقي حديثه وقال : ألا تذكر الترنيمة القديمة التي كنا نرنمها معا في أيامنا الأولى وكنا نرددها في تعزية وفرح:

لـــــي مقام بهيــج سنـــــا		مجـــــده فاق نــور النهار
في العـلا حيث فادي الورى		وجهــه مثل شمس انـــــار
قرار		
نلتقـــــــــــــي عن قريب		حول العرش المجيد الحبيب
نلتقـــــــــــــي عن قريب		حول العرش المجيد الحبيب

ثم قال : « نعم اني لا أشك أبدا في أني سألتقيها في الصباح. لما ابتدأت أعمل كخادم للأنجيل راعني ما اصطدمت به من العصريين الذين يدعون أنهم علماء والعلم بريء منهم لأنهم أبعد ما يكونون عن العلم الصحيح ، ولا يستحون أن يقولوا ان الكتاب المقدس مجموعة قصص خرافية وينظرون باستخفاف الى من يتمسكون بالأسس الكتابية ، فانجرفوا عن قواعد الايمان الصحيح حسب الكتاب و كنت أجتهد دائما أن أجهز البراهين القوية للدفاع عن الإيمان ، ولكني غيرت فكري منذ زمن لأني أعلم يقينا أن العلم الصحيح يبرهن من ذاته على قدرة الله في هذا ، الكون ، وواضح أن الكون بأسره قائم بكلمة الله - كلمة الحياة ، وقد جاء الانجيل مؤيدا العلم في ذلك ، فاذا اتهمك الناس ونعتوك بأنك رجعي قديم فاعلم أن الدين والعلم صنوان . واعلم أن العلم يثبت أن من وراء هذا الكون الهائل فكرا كبيرا هائلا مدبرا وروحا أزليا أبديا ، وقد قرر ذلك أعظم العلماء في كل العصور ولا يخالف ذلك الا التافهون الذين يظنون أن المسيحية والعلم على طرفي نقيض•

كنت أطالع مؤخرا حياة رجل ملك على فكرى وعجبي منذ أن قابلته لأول مرة . ذلك هو السير (وليم أوسلر) عندما كان يحاضر في طلبة جامعة " بيل ".

وقد سجلت هذه المحاضرة كخطبه (جتسبرج) كان هذا الرجل أعظم من أنجبتهم الولايات المتحدة، ولد في كندا ثم كان يعلم في جامعة " جونز هوبكنز" ثم بعد ذلك في انجلترا ، ولما عزم على مغادرة الولايات المتحدة عرضت عليه المبالغ الطائلة لكي يعدل عن فكرته وكان لهذا الرجل ابن في الجيش في الحرب العالمية الأولى وقد جرح فبذل أكبر أطباء الجيش الأمريكي كل جهد لانقاذ حياته دون جدوى ومات هذا الابن ودفن .

كان ذلك هو بداية النهاية " لأوسلر" لأن هذا الابن كان كحدقة عينه وملتقى آماله ، وأخيرا وبعد وقت قليل انتاب الوالد المرض . ومع براعته في الطب والتشخيص علم أن هذا هو مرض الموت ، فأخذ يكتب شيئاً على الورق عند ساعته الأخيرة . ولما حضرته الوفاة أخذوا الورقة من يده الباردة فوجدوا هذه العبارة:

" لقد قاربت الرحلة إلى النهاية وها أنا أرى أخيراً الميناء يظهر واضحاً للعيان . لله ما أمجدها رحلة طيبة مع رفاق أوفياء أخلصوا لى الود طول الطريق! وها أنا أمضى والفرح يتدفق في قلبي لأني أعلم أن إبني الحبيب في انتظاري هناك ".

أتظن أن عقلا جبارا كعقل السيد وليم أوسر كان مخطئا في يقينه عن الحياة الأبدية . كان ايمانه مؤسسا على كلمة الله و الخلاص الثمين في ربنا يسوع المسيح ، وفي الوقت ذاته كان متمتعا بذكاء فذ وعلم واسع وسند تاريخي ٠ «الأنه حي فاننا سنحيا أيضا » هذا هو البرهان الحقيقي. لذلك اذا ما دنوت من شط الاختبار المحزن لعزيز عليك ، توارى وراء الظلام ، فهيا أمل أذنك فتسمع القول : « ألتقيكم في الصباح » : وعندما يأتي الوقت لرحيلك أنت الآخر ثق أن وراء الظلام فجر القيامة.

أيضا العالم الذي نحيا فيه ليس هو عالم المادة وحسب بل هو مسرح لعمل الروح أيضا ، والروح هو باعث الوجود المادي في هذا الكون وكل الأكوان الأخرى ، قال طبيب شهير في لندن " ليس في جسم الانسان أي جزء الا وله صلة وثيقة بالروح " ان الجثمان سيخر صريعا يوما من الأيام ويقع في يد الموت الثلجية ، لكن سيد الجثمان وهو الروح سيظل حيا خالدا الى أبد الآبدين ، ألا تحس بذلك يا أخي في تلك اللحظات الخالدات التي ترتقي فيها نفوسنا فوق المادة والمنظور الى العالم الأسنى الأبدي ؟

هل أراك وهل تراني ؟ اني أرى جسمك وكذاك أنت . لكني أنا وأنت روح ، والذين من الروح فبالروح يحيون وكثيرون قد اختبروا هذا هنا في هذه الحياة. فمثلا كنت أعظ في جورجيا في أحد اجتماعات المثو دست تحت رعاية صديقى الطبيب الأسقف (ارثرمور) وهو معدود من الوعاظ المقتدرين . وكان يؤم الاجتماع عدد كبير من خدام المثودست في الولاية. لا أنسي البركات التي كانت تنهمر علينا وهي تذكرني بأيام النهضات المجيدة التي كنا نتمتع بها وكان ضمن الحاضرين « تشارلي ألن » الواعظ المفوه من الولايات الجنوبية . كنت أقول في نفسي ماذا تقول أمام فطاحل الوعظ ودكاترة اللاهوت ، أما الترنيم فكان من أروع ما سمعت في حياتي.

في نهاية الاجتماع طلب الأسقف (مور) من كل القسوس الموجودين في المؤتمر أن يصعدوا الى المنبر ليؤلفوا جوقة ترنيم ، ولما صعدوا كان الجمع يرنم ترنيمة : « في الصليب في الصليب بدا لي نور عجيب ، حتى زال حزن

قلبي الشديد » ولما كنت جالساً على المنبر وهم يمشون في الطرقة الوسطى ويرنمون الترنيمة القديمة ، حينئذ رأيته كما أراك واضحا جليا ، ذلك هو أبي الشيخ ، وكان قبل موته قد اعتراه مرض أقعده عن الحركة وكلامه كان يسمع همسا . لكن وأنا جالس على المنبر في ذلك الاجتماع رأيت والدي في الطرقة مع المرنمين وقد ارتسم على وجهه اشراق نور سماوي وهو يرنم « في الصليب في الصليب بدا لي نور عجيب » وكان يبدو كأنه لم يتجاوز الأربعين ، في هندام حسن وفي حيوية وصحة ورواء : كان يبتسم حتى خلت أنه يكلمني . فقمت من الكرسي حيث كنت جالسا ، ولا أدري ماذا قال الناس عني عند هذه الحركة . أجل كأنه لم يكن في ذلك الجمع الحاشد الا أبي وأنا . ثم جلست وغاب عني ، الا أن كياني الباطن كان يحس بوجوده معنا وبطريقة لا شعورية وجدتني أردد الكلام الى أبي " ألتقيكم في الصباح ".

لماذا قام المسيح ؟ لكي يبرهن بما لا يقبل الجدل أنه لا يوجد أي شيء يتغلب على قوة الله - لا شيء أبدا - حتى الموت . وما أريد أن أوجهه اليك يا أخي والى نفسى الآن هو هذا – هل أنت وأنا نحيا في قوة هذه القيامة ؟ أم اننا مهزومون ؟ أن ايماني البسيط في المسيحية هو انك اذا حصلت على قوة يقينها في قلبك فانها تمنحك هذه القوة المذهلة . انما عيب الكثيرين منا هو أننا حصلنا على معنى ضعيف للمسيحية.

لكن خذ ايمان القيامة في حياتك فتحصل على القوة القاهرة التي تنتصر على كل شيء " فاني متيقن أنه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة . ولا علو ولا عمق ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا ".

منقول مع التنقيح والتنسيق من كتاب (التقيكم في الصباح) لسنة 1990

الرب يستخدم هذه العظة لخلاص النفوس ويجعلها بركة لمن يقرأها

صفوت زكي سمعان